الجغرافيا السلوكية
والمظهر الحضاري للأرض

ترجمة وتعليق
(1) أ.د. مضر خليل عمر

BEHAVIOURAL GEOGRAPHY
AND THE CULTURAL LANDSCAPE
BY O.F.G. SITWELL AND G.R. LATHAM

Department of Geography, University of Alberta, Edmonton (2)

هدف البحث عرض معتقد مفاده ان المظهر الحضاري للأرض (متمثلا بالمظهر الطبيعي للارض بعد تعديله بفعل الانسان) يوفر براهين يمكن من خلالها معرفة اسس المعتقدات وطبيعة المواقف السائدة بين السكان المسئولين عن تعديل ذلك المظهر . وهذه ليست فكرة جديدة ، فقد قالها قبل اكثر من ثمانين عاما Lethaby 1892 ، ويقال بانها تعود الى ارسطو وافلاطون (Gottmann , 1977) . والهدف من هذه المشاركة عرض الاسس الفلسفية التي يمكن اعتمادها في مثل هذا النوع من التقصيات . يضاف الى ذلك ، إقتراح منهج يمكن استخدامه لاجراء تحليل موضوعي للمعتقدات والمواقف باعتماد براهين مستمدة من المظهر الارضي . ويقصد بالموضوعي هنا التحليل المستقل عن العرق او الجنس او المذاهب الفكرية للمحلل ، وليس المستقل عن الاسس الفلسفية المعتمدة .

تعليق ، البحث معني بالاستدلال من خلال المظهر الارضي والانماط المكانية للمستوطنات القديمة على طبيعة المعتقدات واولوياتها التي شكلت النمط (المظهر الارضي) . وقد قالت العرب سابقا (البعرة تدل على البعير) ، فبوجود (البعرة) يستدل على وجود الابل في هذا المكان ، او مرورها من ذلك المكان . وعلم القيافة عند العرب الاوائل معني بذلك بشكل خاص . وقد وردت قصص كثيرة عن اناس عرفوا بفراستهم وقدرتهم على تحليل المظهر الارضي والاثر الذي تركه الاخرون عليه .

إفتراضات مكملة للاسس الفلسفية

الاقسام الخمسة الاولى من الورقة معنية بالاسس الفلسفية الي لا يمكن القيام ببحث بدونها. وهي مأخوذة عن كارل بوبر (الفصول 1 و 2 و 3 و 10) . يرى بوبر ان العلم تقدم من خلال تشكيل فرضيات يتم اختبارها ، وعند الفشل في برهنة صوابها ترفض الفرضيات . وإن عملية صياغة الفرضية قد تشمل عناصرا كثيرة بدء من الحدس والتخمين . فالصرامة العلمية تكون في مرحلة الاختبار حيث يحدد صواب الفرضية من عدمه ، وهنا تبرز الامانة العلمية . ويحدث التقدم عبر عملية رفض الفرضيات الفاشلة بسبب تدني المستوى المنطقي لها والذي يمثل العملية الوحيدة الموثوق بها . وفي هذه النقطة يتفق F. S. C. Northrop 1947 مع بوبر الذي اضاف ان الطريقة التي تختبر بها العلوم الطبيعية النظريات جديرة بالثقة المطلقة حيث يتم التحقق

---

1 أستاذ الجغرافيا الاجتماعية ، متقاعد mutharalomar@gmail.com , Alomar.muthar@ymail.com , www.muthar-alomar.com

2 Source: Geografiska Annaler. Series B, Human Geography, Vol. 61, No. 2 (1979), pp. 51-63 Published by: Blackwell Publishing on behalf of the Swedish Society for Anthropology and Geography Stable URL: http://www.jstor.org/stable/490680 .Accessed: 27/03/2012

من صواب النظرية أو حسمها منطقيا من خلال التجربة (ص 146) . وعلى الرغم من ان بوبر قدم علم المعرفة epistemology ، فان افضل طريقة لتقديم المنحى المقترح هو رأي برتراند رسل (1945) القائل " لم ينجح احد بعد في ابتكار فلسفة موثوقة و منسجمة ذاتيا " (ص 613). ولاستيعاب هذا النص لابد من التذكير بان الفلسفة عند رسل تتكون من ثلاثة عناصر :

1) الفرضية التي تستند عليها ،
2) سلسلة التبريرات المنطقية التي استندت عليها الافتراضات ،
3) النتائج التي توصل اليها سلسلة التبريرات والتي يمكن مقارنتها مع العالم المعروف من خلال الاحساس .

وقد يبدو غريبا ان يركز المسعى الفلسفي على العنصر الثاني (لكونه قابل للتأويل جزئيا) ، واهملت الفلسفة العنصر الثالث لكونه من مهام العلماء . وعبر تاريخ الافكار الغربية باكمله عرف فقط رجلان باعمالهما التي ركزت على ضرورة وجود الافتراضات في نظم الافكار التي عرضوها ، Descartes ، (Hirschberger , 1976 , pp. 101-103) و Euclid (Kline , 1953 , pp. 42-43 and 410) . وكلاهما ذهب بعيدا في عرض الافتراضات التي استندت عليها افكارهما ، والتي لم تكن مفتوحة للتساؤل . بعبارة اخرى ، كلاهما رأى ان افتراضته مبرهنة ذاتيا فعلا . ونعتقد ان المشكلة تكمن هنا بالضبط . ففي الوهلة الاولى قد يبدو مقنعا ان تكون الافتراضات المقترحة مبرهنة ذاتيا فعلا ، ولكن بعد ظهور العلم الحديث اصبحنا نعرف الى اية درجة نثق بمعرفة اي شيئ ، فطبيعة الحقيقة الفيزيائية المحيطة بنا لا تبدو كما نحسها . لذا فان مقترحنا يصاغ كسؤال ، اذا كان العالم المحيط بنا يختلف عن ما يبدو عليه ، فبالتاكيد فان الافتراضات التي تجمع بين عالمي الفيزياء الذرية مع عالم الحياة اليومية تدرك باحساس واحد يمكن عرضه منطقيا ، ومستقلا عن دوره في الفلسفة ذاتها . وبهذه الصيغة نهض رياضيوا القرنين الثامن والتاسع عشر لاكتشاف فروعا جديدة للرياضيات التي تستند على واحد او اكثر من افتراضات اقليدس (Kline , 1953 , pp. 410-431) .

تعليق : وجود مشكلة بحثية وفرضيات عن طبيعتها واسبابها اساس العلم الحديث ، وارجاع النتائج الاختبارية الى الفرضية للتحقق من صوابها من عدمه هو الذي يجعل للبحث العلمي اهمية وقيمة. ومع الاسف الكثير فإن البعض يركز على شكليات المنهج دون الاهتمام بالمحتوى ومنطقية النتائج او حتى تفسيرها . فماذا يعني قبول الفرضية ؟ ولماذا رفضت ؟ هذه تساؤلات يصعب على الكثيرين الاجابة عنها بموضوعية . وهل فرضية عدم وجود فرق معنوي (الفرضية الصفرية كما يسميها البعض) ذات دلالة علمية ومعنى ؟ واذا كان هناك فرقا بين الاختبار التجريبي و الفرضية او المعيار ، فبأي اتجاه ؟ وماذا يعني ذلك ؟ يضاف الى ذلك ، ان الفرضية يجب بالضرورة ان تستند على نظرية ، وان اختبارها يرتكز الى موقف فكري (فلسفي) .

المعتقدات والمواقف

قبيل تقديم الافتراضات المختارة لابد من تحديد وجهة النظر في العلاقة بين المعتقدات و المواقف ، من جهة ، ومع السلوك من جهة اخرى . ومن المهم الاشارة الى أن مصطلح المعتقد يعني هنا الاثنين المعتقد والمواقف ، رغم ان المفهوم يمكن تميزه ، فكلاهما يعودان الى المجال المنهجي نفسه . ومن وجهة نظرنا فان مصطلح المعتقد هو عنوان لعمليات في النظام العصبي المركزي للكائن البشري (او لربما مجموعة ثانوية معينة من هذه العمليات) التي تعمل وسطا بين المعلومة المستلمة من قبل الجانب المستلم في النظام العصبي و الافعال التي يقوم بها الكائن للبيئة الخارجية .

طبقا لوجهة النظر هذه فان المعتقدات يمكن ان ينظر لها اما كاسباب او تاثيرات ، استنادا الى المشكلة قيد التقصي . بعبارة اخرى ، بالامكان محاولة تعلم كيف قادت مجموعة من الخبرات السابقة وربطها مع الوضع البيئي الراهن الى تنظيم معين للنظام العصبي وخلايا الدماغ لتشكل معتقدا معينا . وبالجانب الاخر ، من الممكن ايضا افتراض أن المعتقد كما هو ومن ثم البحث عن نوع السلوك الناجم عنه ، وبهذا يتسنى بناء نموذج يمكن اختباره ببيانات عن السلوك الملاحظ

في الواقع . وكما اشير آنفا ، فان الفرضية الاساس مفادها ان المظهر الحضاري الارضي يمكن استخدامه لبرهنة ان معتقدات الناس مسئولة عن انتاجه . وكيفية تشكل المعتقدات ليست من مهام هذه الورقة . فالمعتقدات قد تكونت ، وانها حقيقة موجودة لا مجال لانكارها .

الافتراضات النسقية

في الفلسفة المشار اليها هنا لابد من وجود ثلاثة افتراضات ضرورية ، أي انها لا تفسر بسلسلة الافكار التي تتبعها ، وبدونها فان هذه السلسلة ليس لها بداية . وعلى الرغم من ان احدا لم يطلبها بعد فان هذه الافتراضات تبرهن ذاتيا . وفي الواقع ، هناك طلبين ، الاول انها ليست شيئا عظيما ، خاصة وانها غير متوافقة لا مع بعضها البعض ولا مع اي برهان يوفره العلم . ثانيا ، انها تقود الى نتائج تكون مثيرة بحدة ذاتها ، و تقترح خطوطا ممكنة من الابحاث عن المشاكل الملاحظة عن معتقدان الانسان وسلوكه .

الافتراض الاول : الحقيقة موجودة ، يتطلب هذا شيئا من التعليق ، وسيتم ذلك في مرحلتين . الاولى مباشرة ، اما الثانية فستقدم بعد عرض الافتراضين الاخرين . ومعنى الحقيقة كما هو مستخدم في الافتراض الاول هو ، ما لم نكن لم نفهمه ، والذي عرضه بوبر في الفصل الثالث . ففي الفصل الثالث من كتاب بوبر عرض لثلاثة وجهات نظر تعنى بالمعرفة الانسانية . وبالاختبار فان وجهات النظر هذه للمعرفة تشير الى تطابقها مع وجهات النظر عن طبيعة الحقيقة . واستنادا الى وجهة النظر الاولى ، فهناك تمييز بين العالم كما يبدو لاحاسيسنا و العالم كما هو فعلا . فنحن نعرف فقط مظهر الاشياء وليس جوهرها الحقيقي .

وجهة النظر الثانية تفيد انه ليس هناك عالم غير الذي يبدو امامنا (او اذا كان هناك عالم اخر فنحن لا نعرف عنه شيئا) . طبقا لوجهة النظر هذه ، فان النظريات العلمية هي ليست نصوصا عن الواقع ، بل ادوات تسمح لنا بتوقع السلوك ضمن درجة محددة من الدقة.

بمقابل وجهات النظر هذه ، قدم بوبر وجهة نظر ثالثة ، فبالنسبة له الحقيقة موجودة ، وبدلا من تكونها في جوهر مخفي دون السطح الظاهر ، هي ببساطة جميع الاشياء التي تتكون منها . الايجابية العظمى لوجهة النظر هذه ، وكما يبدو لنا ، امكانية الافتراض وكتابة نصوص موضوعية حقا ، وتكون النصوص صحيحة عندما تتطابق مع الواقع . وللتوضيح ناخذ نصا مفاده (حلمت الليلة الماضية ان المنزل الذي اعيش فيه احترق بالكامل) . فاذا كان الحلم في الليلة الماضية فان النص صحيح ، ويبقى صحيحا حتى عندما تكون محتويات الحلم غير صحيحة (فالمنزل ما زال قائما ولم تمسه النار) .

بقبول افتراض وجود الحقيقة يبرز تساؤل عن نوع المعرفة التي نملكها عنها . اجاب بوبر بوجود خيارات ، وايضا من الممكن الحصول على معرفة حقيقية ، ولكن ما هو غير ممكن التفريق بين الاراء والمعرفة الحقيقية . ولا يهم درجة الشعور باننا على صواب في بعض النقاط، وليس مهما البراهين التي نسوقها لتعزيز وجهة نظرنا ، فالامكانية موجودة دوما ، ونبقى على خطأ قياسا بالعالم الخارجي المحيط بتلك النقطة . ولم تقود هذه الاجابة بوبر الى خلاصة مفادها ان جميع وجهات النظر متساوية في الصلاحية وذلك لانها جزء من وجهة النظر الثالثة ، وامكانية ان تكون غير صحيحة . فمثلا ، فان وجهة النظر في ان الارض مسطحة يمكن دحضها ، وبهذا لا يبقى احد يؤمن بها .

الافتراض الثاني ان الفهم المقبول عن المخلوقات البشرية يمكن اكتسابه عند النظر الى انفسنا ككائنات عضوية (او نظم) عليها معالجة المشاكل كي تعيش . بهذه الحالة ليس المقصود الانسان العاقل Homo sapiens ليكون نموذجا للانسان في وجهة النظر هذه ، وليس الانسان الاقتصادي، بل الاشخاص كمعالجين للمشاكل . وتعريف (المشكلة) ضروري هنا . فهي اي شيئ يقود الناس عند مواجهتا الى تغيير في نمط السلوك . طبقا لهذا التعريف فان جميع السلوكيات ناتجة عن ايجاد حلول لمشاكل تم التعلم منها ، وبالمقابل فان جميع السلوكيات المتعلمة نتجت عن مواجهة مشاكل. النقطة التي تستلخص من ذلك ان المشاكل ليست حالة سلبية بالضرورة ، بحيث

نكون في حال افضل بدونها . واول مشكلة واجهة كل واحد منا هي التواصل مع الاخرين والتي حلها بتعلم اللغة.

ويلاحظ ايضا ان اي حل لمشكلة يلبي توقعات الشخص المعني بالتخطيط لها يعد حلا ناجحا بمستوى معين . وفي ضوء التحليل المقارن ، فان بعض الحلول لمشاكل معينة قد تبدو اكثر فاعلية من غيرها ، ولكن في وقت مواجهة المشكلة ، فان الحلول تعد ناجحة من قبل من حاول وضعها موضع التنفيذ . وبما ان طريقة التحليل المقترحة هنا معنية بالمواقف الذاتية على المستوى الدقيق ، فلا حاجة الى النظر الى معايير النجاح .

الافتراض الثالث ان المشكلات التي نواجهها ليست من نوع واحد ، بل تعود الى ثلاثة اصناف ، تلك الناتجة عن البيئة الفيزيائية (العمرانية) ، وتلك التي سببها اناس آخرين ، وتلك الناجمة عن ابعاد لا مادية للواقع (ينظر Bidney , 1953 , p 130 ; Clark , 1975 pp.7-8; D.G. MacRae , 1964 , p. 302) . وهذه تتطلب تعليقا ايضا ، ونبدأ بطبيعة المشكلتين الاوليتين لانهما تبدوان واضحتين ، بينما مصطلح البعد غير المادي للحقيقة (الواقع) ليس كذلك ، مع انه متوقع في التفسير الادراكي . فماذا يقصد بغير المادي non-material ؟ وللتبسيط نعرف المادي اولا . الشيء المادي هو اي شيئ عند قياسه من قبل شخصين يصلان الى النتيجة نفسها (بغض النظر عن العرق ، المبادئ ، الدين ، او الجنس) . والتعليق الجانبي الاول هنا ، من المحتمل ان القياس المتسق للمسألة قيد التقصي التي يوفرها اي شخص ، عدا الفلاسفة الشكاكين، يعتمد ارضية عامة للاعتقاد بان المسالة matter حقيقة . والتعليق الثاني فان تعريف المسألة يسمح لنا بمناقشة عرضية لاشياء مثل ESP والتخاطر الذهني . فاذا أوحى البحث في هذه والظواهر المشابهة لها بتناسق السلوك ، حينها يمكن الافتراض باننا نواجه بعضا من معطيات الشيء قيد التقصي . وفي الواقع فاننا اهملنا الالية التي تم فيها التخاطر الذهني مثلا وليس هذا ناتجا عن اهتمام جدي بالمسألة . ولهذا فان عالم كبير مثل نيوتن ما كان يعرف بان التواصل عبر الراديو سيكون ممكنا ، فلماذا نتفاجئ عندما نعلم بوجود شيء من التواصل عبر الكون الذي ما زال مخفيا عن معرفتنا ؟

قادنا التعليق العرضي الاخير الى الخطوة التالية في هذا البحث ، فتعريف المسألة matter كونها قابلة للقياس يقود الى تعريف العلم كدراسة للمسالة (طبقا لضوابط محددة) ، وهذه النتيجة (وجود القياس) من متطلبات البحث العلمي . وقد اوضح ذلك P.W. Bridgman (1928) حيث قال بضرورة تحديد جميع المناهج المستخدمة في البحث العلمي وعند القيام بتجارب فلابد من أن تكون النتائج مقاسة . وتعرف عملية تحديد المناهج بعمليات اختبار الفرضية. وقد قدم George Lundberg (1939) المبادئ الضرورية لعمليات البحوث في العلوم الاجتماعية ، حيث لم يجد صعوبة في تحويل هذا المبدأ من علم الفيزياء حيث قدمها برجمان . ورغم قناعته الا ان هناك مشاكلا عديدة عند استخدام طريقة برجمان في العلوم الاجتماعية . وقد ادرك Northrop (1947) احدها .

ولاستيعاب المشكلة ، في البدء من الضروري معرفة ان الفرضيات (او التعميمات كما يسميها لوندبرك) معرضة للرفض او القبول من خلال نظرية استدلالية نسقية (1947 ، P. 117)، وبما ان نورثروب طور سلسلة من الافكار ملأت اكثر من مائة صفحة فان ايجازها في جمل قليلة لا يعطي القارئ فكرة واضحة عنها . وبمفردات بسيطة ، فان فرضية نورثروب ترى ان كل نظرية علمية تستند على افتراضات عبارة عن مفاهيم اولية مفترضة (129 - 130) ، وعلى اساس هذه الافتراضات يطور العلماء الفرضية من خلال منطق استدلالي . ولاختبار هذه الفرضيات ، من الضروري ترجمة جميع مفاهيمها (المتطلبات المسبقة والمشتقة منها) الى مفاهيم اجرائية (عملية) . ويسمي نورثروب عملية الترجمة هذه بعملية العلاقة المعرفية epistemic correlation . وقبيل الوصول الى استيعاب لهذه العملية لابد من الاشارة الى صعوبة وتعقد تراكيب الجمل في طروحات نورثروب .

نقطة اضافية لابد من ملاحظتها ، تقليديا بالنسبة لمن يركز على التعاريف الاجرائية للمفاهيم فانه يؤكد على الموضوعية أيضا . والسؤال فيما أذا كانت الموضوعية تجريبية ام مفردة نظرية صممت عن معرفة علمية (ص 130) . تبع ذلك مقولة تقود الى النتيجة الاتية :

تشير جميع الاعتبارات الى ان المفاهيم مصممة نظريا وليس تجريبيا ، وهي التي تحدد الموضوعية في العلم . والعمليات التجريبية قد اصبحت معاييرا للموضوعية في العلم من خلال العلاقات المعرفية التي تربطها مع موجودات موضوعية ومع علاقات محددة بمفاهيم و افتراضات (ص 131) . وبالنسبة للمعني بايجاد معاييرا تعتمد الموضوعية في العلم ، فان الاتفاق والاجماع عليها امرا ذي اهمية كبيرة. ويبدو ان ذاتية البشر متدفقة في جميع اسس العلم . فهل الامر هكذا؟ والاجابة الافضل المتوفرة حاليا تؤهل الرد ب (كلا) . ونعتقد ان التاهيل المميز يكون عند :

(أ) تعريف العلم بأنه دراسة المسألة matter أو الموضوع القابل للقياس ، و

(ب) قبول فرضية احتمالية وجود ما هو ليس بمسألة non-matter .

وبقبول الخطوة الاولى من الجميع ، نناقش الاخيرة وما تعنيه .

تعليق : قيل العلم قياس وتقييم ، قياس للظاهرة او المسألة قيد التقصي و تقييم لها في ضوء نتائج القياس . و وجود اداة قياس و وحدات قياس موثقة تساعد في معرفة ليس حجم الظاهرة فقط بل و ما يطرأ عليها من تغيير ، و تحديد المرحلة التي هي عليها ضمن دورة حياتها . فلكل شيء دورة حياة . ويجهد الباحثون انفسهم في استحداث طرائق قياس ضمن تخصصاتهم العلمية بما يساعد في تطوير الاختصاص و تعميق الخبرة به و تعزيز الافادة منه في الحياة اليومية .

العقيدة الدينية

وعند تقصيه عن الاتساق في نظم الافكار وجد نورثروب فاصلا في نقطة ما ، ولم يكن الوحيد الذي توصل اليها . و هذا الخلل في اتساق الافكار كان محط اهتمام ومجال اختبار من قبل العديد من الفلاسفة والمنظرين ، وقد اعترف البعض بذلك . فقد أشار كارل بوبر الى ذلك بقوله: اعتقد كتبت ما فيه الكفاية عن ميلي للكمال والعقلانية . فعقلانيتي ليست dogmatic واني اعترف بعدم قدرتي على برهنة عقلانيتها ... او القول ، بان عقلانيتي لا تحتوي ذاتها بل تستند على اعتقاد غير عقلاني في الحالة العقلانية ، ولا اعتقد بامكانية الذهاب ابعد من ذلك . ويمكن القول، ولربما ، ان معتقدي غير العقلاني مساو في الحقوق ومتبادل الاقناع مع الاخرين و الاقتناع بارائهم . فهو اعتقاد باسباب الانسان نفسه ، او ببساطة الايمان بالانسان (1963 ، ص 357).

وقد تقبل البعض وجود الهوة الفاصلة في الافكار ولكن وبتردد حاولوا تقليصها . وكان هذا خيار Norbert Wiener مؤسس علم التحكم الالي cybernetics حيث كتب " لا وجود للعلم بدون الايمان بان الطبيعة خاضعة الى قانون" (1954 ، ص 193) . وعلى خلاف بوبر فان وينر لم يكن سعيدا في استناد العلم على اسس من الايمان . برز ذلك في محاولاته للتمييز بين نوعين من الايمان : الايمان الذي بنى عليه الدين ، وذلك الذي بني عليه العلم ، وهما مختلفان بالنسبة له . يضاف الى ذلك فان الاخير جيد لانه يمكن قبوله من الشخص العاقل و النبيل ، بينما الاول ليس كذلك . وهذه نقطة هشة لارتكازها على معتقد وجود نوعين من الايمان . وقد توقع وبير رفض ذلك موفرا معاييرا لاستخدام كلا نوعي الايمان والتمييز بينهما ، فكتب : " العلم طريقة للحياة تزدهر فقط عندما يكون الانسان حرا في معتقده . والايمان الذي نتبعه باوامر ليس ايمانا " (1954 ص 193) . ايضا هناك ملابسات ، فالايمان الذي يقود الناس لتقبل الدين فيه شيء من الاكراه ، ويبدو هذا مقنعا لوبير . ولكن هذه الاجابة لم تساعد في تفسير الفرق بين نوعي الايمان والتمييز بينهما .

مع هذا فالاخرون قد اهملوا الفواصل الفكرية ، فقد قدم برتدراند رسل نموذجا ممتازا عند مناقشته نقد هيوم Hume للمبدأ ، حيث قال اذا لم تكن المبادئ صحيحة فان كل محاولة للوصول الى قانون علمي عام عن ملاحظات معينة تعد باطلة . لقد برهن هيوم على ان التجربة الصرفة لوحدها غير كافية كاساس للعلم . ولكن وبقبول هذا المبدأ فان اي شيئ آخر يمكن استمراره طبقا

للنظرية المعروف استنادها الى التجربة . وإن هذا ابتعاد جدي عن التجريبية الصرفة ، و بالسماح بهذا الفصل ، فلماذا يكون الامر ممنوعا مع غيره ؟ وهذه اسئلة لم يثيرها هيوم مباشرة ، و ما تبرهن عليه هذه المقولات ان هذا مبدأ منطقي مستقل ، غير قابل للاشتقاق لا من التجربة ولا من مبدأ منطقي آخر ، وبدونه فالعلم في حكم المستحيل (1945 ، ص 467) . ومقولة هيوم لا تبرهن على ذلك ، انها تقول اذا كان induction الاستدلال مبدأ منطقي ، فانه مستقل عن الخبرة وعن المبادئ المنطقية الاخرى ، ولكنها تقود الى نتيجة صاغها رسل بالاتي : " انا اؤمن بالعلم، ليس لان البراهين اجبرتني على ذلك ، ففي الواقع لاحظت ان افضل البراهين المتوفرة غير صالحة ، ولكني اخترت الايمان بها" ، فاختيار الاعتقاد بالشيئ عند غياب البراهين هو ممارسة للايمان faith .

ماذا يمكن القول عن التعايش مع الايمان ؟ على الاقل بهذا المستوى . وعندما يكون الايمان مطلبا مسبقا لا يمكن للعلم ان ينقله فانه لا يكون بحد ذاته موضوعا للتحليل العلمي ، لانه غير قابل للقياس . ولانه لا يمكن قياسه ، لذا فانه يفقد خاصية جوهرية من خصائص المسألة matter . وبهذا فان القول بالبعد اللاموضوعي non-matter للحقيقة شرعي . ليس ذلك فحسب ، بل بوجوده يمكن توضيح مشاكل معينة بالمنهج العلمي ، المعني بوسائل الربط بين التعاريف النظرية والعملية (الاجرائية) ((التي عبر عنها نورثروب بالعلاقات المعرفية)) . وبدون تعليقات اخرى عن ما ذكر انفا ، فنحن بحاجة الى هذا الشيء الغامض الذي ندعوه بالايمان كمطلب مسبق للعلم وعلينا العودة اليه في الاجراءات العلمية ذاتها . وقد اهتم بذلك Rudolph Carnap حيث حاول الاجابة عن سؤال : ما هو الالكترون ؟ وهذه من الاسئلة التي يطرحها الفلاسفة عادة على العلماء (1966 ، ص 234) . واجاب بانه بدون احترام الاشياء التي لا يمكن ملاحظتها مباشرة (مثل الالكترونات) فان معرفتنا عنها تعرض بمفردات قوانين نظرية ، وهذه القوانين تعود الى ضوابط تطابقها ، وهي ناتجة عن ملاحظات مباشرة قمنا بها سابقا .

في هذه المناقشة التي قدم بها كارناب تطابقا للضوابط ، ليس هناك شيئ غامض . ففعلا عندما يسال طفل عن ما هو الفيل فالاجابة تكون باخذه الى حيث يمكن أن يرى الفيل بام عينه ، ولكن الاجابة عن ما هو الكترون لا تكون بهذه الصيغة . ولكن اذا قدم للطفل استدلالات في الفيزياء ومفاهيم تجريدية في الرياضيات فان الغموض سيتلاشى . الشرط الوحيد هنا ، ان الغموض يكون في العالم خارج الفرد ، وان ضوابط مفاهيم المعالجة الرياضية هي في الداخل inside . واذا تمكنا من اشراك المفاهيم الرياضية (الارقام على سبيل المثال) مع الحدث (شيء ما خارجنا) ، والقيام بذلك بوضوح حينها نتمكن من تفسير الحدث (يمكن صياغة نص عام يساعد في توقع السلوك) . ويعني هذا القول ببساطة انه طالما حددنا العلم بالاشياء التي يمكن قياسها فانه لا توجد اية مشكلة . وان هذه الافتراضات قد فتحت الباب على مصراعية لمشاكل لا عد لها في النظم الفلسفية التي تستند عليها . فعندما نحدد العلم بما يقاس فان صعوبة ارجاع الملاحظات التجريبية الى مفاهيم نظرية وتكرار التجربة تتقلص وتصبح ليست بذات اهمية .

تعليق : الايمان بوجود شيء من خلال الحدس العلمي ساعد وساهم في التعريف به و تحديد طريقة لقياسه . فبدون معرفة الشيء لا يمكن قياسه . بعبارة اخرى ، يبقى القياس هدف و وسيلة لتطوير العلم .

الابحاث السابقة

وكما أشير آنفا فالعديد قد لاحظ وكتب عن المظهر الارضي او عناصره و تأشيرها او ترميزها لمعتقد او مجموعة من المعتقدات . فخلال العقود الثلاث الماضية فقط كتب كل من Gowans ,1966، Jencks & Baird ,1970 فصولا في كتبهم عن ذلك . واعتمدت فرضيات هذه العلاقة في اعمال كل من :

Levi-Strauss (1963), M. MacRae and Adamson (1963), Mumford (1961), Newton (1971), Nuttgens (1972), Reps (1967), Sjoberg

(1960), Tuan (1974), Tunnard and Reed (1955), and Zube (1970),

والبعض منهم ، وعلى وجه الخصوص , Jencks & Baird , Nrwton , Rapoport Tuan قاموا بالتعريف بالكثير من الكتابات السابقة وبكثافة . ويتطلب الامر وقتا و اوراقا كثيرة لاستعراض ما كتب عن الموضوع . الهدف هنا تقديم خلاصة لبعض نتائج الاعمال الحديثة لاكاديميين موثوقين . وبهذا يمكن التمييز بين الاتجاه الواعي لبناء مظهر ارضي حضاري يمثل المعتقد بشكل رمزي وبين الحالات التي ينتج المظهر الحضاري الارضي دون قصد عن صورة ذهنية للمعتقد .

الرمزية الواعية في المظهر الارضي

حسب رأي Wheatley 1971 وعرفانا بعمل Eliade 1949 , 1957 و عمل Berthelot 1949 ، فان من الشائع جدا ان نجد الشكل العمراني و التنظيم المكاني لمدن ما قبل الصناعة قد بني وبمقياس صغير ليتطابق الواقع مع العالم السماوي الذي يعيش فيه الرب المسئول عن وطننا الارض (ويتلي 1971 ص 414 - 417 و 481) . وكان عمل ويتلي الرئيس 1971 يستحق الملاحظة لتفاديه الواضح اية اشارة الى المظهر الارضي في المدن الاوربية . وهذا التجاوز تم ملئه من قبل E.B. Smith 1956 عند اختباره استعمالات الارض من قبل النخبة في امبراطورية روما و بدايات العصور الوسطى ممثلة في طرز المعمار المثيرة للاعجاب بين عامة الناس و بما يعكس سلطة النخبة وموقعها .

واخيرا نلاحظ نتائج Amos Rapoport عند دراسته العلاقة بين شكل المنازل و حضارة مجتمعات ما قبل الصناعة ، وقد توصل الى نتيجة مفادها ، بتوفر مناخ معين و مواد محددة و قدرات و محددات لمستوى التقنية التي تقرر شكل الوحدة السكنية فانها تعبير مرأي للاهمية النسبية المصاحبة لمختلف معطيات الحياة وبطرق منوعة لادراك الحقيقة (ص 47) .

تعليق ، وما زال هذا ظاهرا في المعمار الحديث و الانماط المكانية لسكن النخب من علياء القوم او من توفرت لديه الفرصة لتحقيق موقعا متميزا .

التعبير اللاواعي للمعتقدات

اذا كان هناك قليل من الشك في ان اعضاء مجتمعات ما قبل الصناعة كانت تستخدم مبانيها كرسائل تعبر عن معتقداتها ، فانه من المفيد مناقشة امكانية ، او لربما فان اعضاء المجتمعات الحديثة يبنون المظهر الارضي ليعبر بشكل غير واع عن معتقداتهم . فبالنسبة لنا ، نميل الى وجهة نظر Karl Mannheim في أن الحوافز التجميعية اللاواعية تقود الافكار وتوجهها (1936 ص 39) ، فالاحتمالية ستكون مثيرة ايضا . ففي امريكا الشمالية ، اطروحات الدكتوراه ل Walter 1947، R.C. Harris 1966 ، و E.M. Gibson 1972 قد خصصت لتحليل مظاهر ارضية مختارة ذات نظرة ذات علاقة بشكل شبه واضح . ولضيق المجال سيناقش اثنين منها هنا .

فرضية ايلي العامة تفيد في ان النمط المكاني لاستعمالات الارض في المدينة لا يميل الى توكيد نمطا واحدا يمكن الاستدلال عليه من مجموعة من الافتراضات الصالحة عالميا ، عوضا عن ذلك يجب ان تشمل الافتراضات معلومات عن نظم معتقدات المجتمع الذي بنى المدينة . طبقا لذلك فان النمط قد جاء تتابعا منطقيا للمعتقدات ، وبالامكان عكس هذه المقولة . فبوجود النمط من الممكن الاستدلال على طبيعة المعتقدات . مقولة فيري ان المدن الامريكية فيها منطقة الاعمال المركزية CBD جراء نظام القيم التعاقدية الذي جعل الفضاء يسبب ضعفا لوظائف النظم الاجتماعية ويقلل من اثرها (1947 ص 254) . ((اي سيادة العامل المادي – الاقتصادي و تحديده اولويات استعمالات الارض))

بعبارة اخرى ، ان منطقة الاعمال المركزية في وسط المدن الامريكية جاءت لانها في مركز نظام القيم الامريكية (المادية) . في الواقع فان مركزية منطقة الاعمال لم يات نتيجة تتابع رغبات معينة لترميز اهمية الاعمال ، بل لانها رمز لا واعي للمعتقد . ولفرضية هارس نقطة

تركز ضيقة ، حيث اراد عرض معطيات معينة لم تفهم جيدا عن بصمات النظام في فرنسا الجديدة، قبل مئات السنين ، قبل الغزو البريطاني . وسبب عدم الفهم راجع الى ان الباحثين الاوائل اعتمدوا كليا على الكلمات المكتوبة فقط ، بينما هارس ذهب الى المظهر الارضي الحضاري وقام بتحليله . يرى هارس ان العديد من انماط الاستيطان تعكس وتؤثر على التركيبة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع ، فاذا كان هذا صحيحا ، فان الانماط يجب ان تشكل بدرجة ما التنظيم الاجتماعي والاقتصادي . وفي ضوء المتوفر من المعلومات يمكن تحديد نمط الريف الكندي وانماطه المكانية طبقا للنظام الفرنسي (1966 ص 170) . تبعا لذلك ، قام هارس بتحليل اسس نمط الاستيطان على ما كان عليه ، وبهذا فانه استخلص ان السلطات تريد الناس أن تعيش في قرى متكتلة ولكن الناس لا تريد ذلك (ص 180) .

الاستدلال على المعتقد من مظهر الارضي

يبدو أنه من الممكن الحصول على نظرة قريبة للمعتقدات الكامنة وراء السلوك من خلال اختبار المظهر الحضاري الارضي لحالات مفردة . وسنحاول الان توفير موجز لهيكل نظري نعتقد انه يسمح بارجاع نتائج حالة ما والاستدلال منها الى حالة اخرى . في الخطوة الاولى نقترح ان يكون تصنيف المجتمعات للاهمية النسبية للفئات الثلاث المشار اليها آنفا (الممثلة بالبيئة العمرانية ، بالناس ، وبالبعد اللامادي) المنطلق للتحليل . وبهذه الحالة ضروري وجود معايير تقويمية للاهمية النسبية التي اعطتها المجتمعات لكل من المشاكل الثلاث . وان هذه المحاولة ضرورية لمعالجة مشكلة قياس الاهمية المضافة . وكلما كانت المشكلة كبيرة كان الجهد كذلك. والجهد هنا ذي مفهوم نظري ، وبالامكان صياغة تعريف اجرائي له باعتماد افتراضين اثنين :- 1) الجهود التي يبذلها الناس لمعالجة المشاكل لها نتائجها المادية بشكل تعديل للمظهر الارضي، 2) كلما كانت المشكلة كبيرة كذلك كان الجهد المبذول لمعالجتها ، وايضا التعديل على المظهر الارضي . واذا كانت درجة التعديل النسبي متمثلة بعنصرين ثقافيين غير مؤكدة ، فان الدقة تتأتى باستخدام قياس ساعات العمل المطلوبة لانجاز التعديلات او الكلفة المالية لذلك .

الافتراض الاول هو توسيع بسيط لعقيدة الاثاريين عن العلاقة بين الاثر المكتشف و حضارة من صنعه . فعلى سبيل المثال فان اكتشاف (الحربة - الفالة) دليل على وجود صيادين لفرائس مائية ، والتي هي مقبولة شرعا ، وان الصيد نشاط شرعي أيضا . وقد يبدو الافتراض الثاني معرضا للمساءلة ، وعوضا عن استكشاف المضامين بمناقشة تجريدية ، نفضل عرض حالة دراسية . فاذا كانت نتائج العمل مع مجموعة من الافتراضات والتعاريف المقترحة حديثة للنظر في مشاكل قديمة و تثير اسئلة جديدة ، حينها نعرض طريقتنا الى تمحيص اكثر . وعندما لا تكون هناك نتائج مهمة فيمكن الابقاء على الجهد كما هو .

ثلاث حالات دراسية

خصص هذا الجزء لاختبار التعديلات الحاصلة على المظهر الارضي من قبل ثلاث حضارات مختلفة عن بعضها البعض ، بتعريف واسع ، وممن احتل الارض بالتتابع . وقد اختيرت الحالات الدراسية لان المظهر الارضي المنتج فيها يوحي باختلاف الاهمية النسبية للمشاكل الثلاث : البيئة العمرانية ، المجاميع الاخرى ، الابعاد اللامادية . المجاميع المطلوب اختبار أثرهم الحضاري هم قاطنوا الجزر البريطانية ، الجزء الجنوبي من انكلترا بالتحديد ، بين بداية Neolithic (العصر الحجري الجديد) و الغزو الروماني . المشكلة تكمن في البيئة العمرانية ، فاول المجاميع السكانية الثلاث أعطى اهمية عالية نسبيا للزراعة ، فقد كانوا مزارعين ، وطريقة حياتهم مألوفة لنا عند دراسة مجاميع تعتمد تقنيات مشابهة مازالت في القرن العشرين في العديد من اجزاء العالم (ينظر Renfrew 1973 a) . فعلى الرغم من بدائية تقنياتهم ولكن كان اثرهم كبيرا على المظهر الارضي قياسا بالمهاجرين الاوائل لهذه الجزر (Clark , 1952 , 92) . فالاوائل قد اعتمدوا الجمع والصيد طريقة للمعيشة ولهذا لم يحتاجوا الى مساحات جديدة فيضطروا الى إزالة الغابات ، وعرضا كانوا يشعلون النيران فيها كمساعدات للصيد ، فازالة الغابات شيء يقوم به المزارعون طبعا (Piggott , 1954 , 92) . نتيجة ذلك ، وللمدى البعيد

فقد غير المزارعون وجه الارض بازالة غابات واسعة وحلت مكانها اقاليم زراعة و مراعي (Clark , 1952 , 92) .

لحد الان فان توفير المأوى ونمط الاستيطان هو محور الاهتمام ، والبراهين ان الاستيطان الاول كان الميل فيه الى منازل منعزلة عن بعضها البعض (Piggott , 1954 , 24-28 , I.F. Smith , 1974 , 104) وبالامكان التصور بانهم يقطنون في مناطق صغيرة ازيلت اشجارها محاطين بحقولهم الزراعية . لذا ، فنحن نعرف انه لم يتم تقدير الوقت المطلوب لازالة الغابات و الزراعة بالطريقة التي مارسها اولئك القاطنون ، فغياب اي اثبات لشكل النشاط عدا ما له علاقة بتوفير الاساسيات الضرورية للحياة ، فانه على الاقل يتطلب قرنين من الزمن بعد وصولهم الى الجزر البريطانية ، وبهذا تمت معالجة المشاكل الممثلة بالبيئة العمرانية (I.F. Smith , 1974 103) .

ويمكن القول بانه بشكل عام فان العلاقات بين الناس يمكن عدها اما كامنة او فعلية ، وعندما تكون كامنة فانها حيادية ، وفي الحالة الاخرى تكون اما صديقة او عدائية . وبالامكان التمييز بين العلاقة بين الافراد ضمن المجموعة و العلاقة بين المجاميع . فبالنسبة لمزارعي العصر الحجري الجديد فان البراهين عن طبيعة العلاقات ضمن المجموعة كانت ضئيلة جدا لا تساعد في الاستدلال في هذا المجال . وللفترات اللاحقة توفرت براهين ، خاصة عند النظر الى خارج الجزر البريطانية . وحالة مثيرة للاهتمام وفرتها قرية Barkaer في الدانمرك (Bibby 1962 , 313-314) . حيث تتكون من صفين طويلين من المنازل على امتداد طريق عريض مرصوف . وكل بيت طويل مقسم الى 26 قسم ، كل قسم مخصص لعائلة . ومن الصفات الملفتة للنظر في هذا الاستيطان غياب اية اشارة عن تفرد عائلة او فرد فيها . مما يعني ان العلاقات ضمن المجموعة كانت عادلة . والبراهين المشابهة قد توفرت عن مستوطنات العصر الحجري الجديد بعيدا عن سواحل اسكتلندا (Piggott , 1954 , 324-326 , Renfrew , 1973 , a) 132-142 .

وبما أن مزارعي العصر الحجري الجديد دخلاء ، فيتوقع ان نجد اشارات لمعارك بينهم من جهة ، ومع الصيادين السابقين لهم في المكان ، ولم يحدث هذا . مما يعني عدم قيام معارك بين المجموعتين . وكما اشار بيكوت فان الارض من السعة تكفي الجميع ، وليس هناك تنافسا بين طريقتي حياة المزارعين والصيادين (1954 ، 16) . وبالنظر الى الاستخدام المكثف لقرون الغزلان (الوعول) من قبل المزارعين (Clark , 1952 , 175-177) فان عمليات التبادل التجاري بين المجموعتين قد تمت بشكل أو آخر . يضاف الى ذلك ، وكما هو معروف في عالمنا اليوم فان المزارعين والصيادين يعيشون بسلام جنبا الى جنب وغياب العدوانية بين المجموعتين (Turnbull , 1961 , 1963) . وعندما نتحول الى المشكلة الثالثة نجد ، وبحصر الاهتمام بالاجيال القليلة الاولى من العصر الحجري الجديد ، فيبدو أنه لم يترك أي بناء ذي تركيب يسجل من قبل الآثاريين (I.F. Smith , 1974 , 128-136) .

<u>الناس الآخرون كمشكلة اولية</u>

في الف ومائتي سنة قبيل الغزو الروماني سادت حالة اخرى ، حيث بنيت الحصون في بريطانيا (Burgess , 1974 , 197) . في البدء اشتركت الاعمال الدفاعية مع التراكيب المعتدلة نسبيا للمستوطنة ، وبمضي الزمن نمت واصبحت اكثر صلابة وكتلة تتوجها القلاع (Cunliffe , 1974 , 227-263) . فهناك خمس اسوار ، تفصلها عن بعضها البعض خنادق عميقة ، تحيط مركزيا بارض مساحتها خمس واربعين ايكر (J. & C. Hawkes , 1947 , 128) . وبالمستوى نفسه في العصر الحديدي بنيت قرية قريبة من Gastonbury في وسط مستنقع على جزيرة صنعها الانسان . وكما اوضح Hawkes (1947 و 116) فان كمية العمل لانجاز الجزيرة كبير جدا ، والعذر الوحيد لذلك هو الخوف من الاعتداءات .

يضاف الى ذلك ، من الواضح ان العمل لبناء الدفاعات يفوق كثيرا الجهد المصروف لبناء مساكن عمال البناء . ولكي يكون التقييم دقيقا للاهمية النسبية للجهد المبذول لحل المشكلتين

الاوليتين ، فمن الضروري تقدير الوقت المستغرق للزراعة و لتوفير المأوى في جانب و بناء الدفاعات في الجانب الاخر . ولاغراض البحث هذا ، فان الدقة غير ضرورية ، فالتغير بين الفترتين في الجهد المستثمر لمعالجة المشكلتين بديهي ، وهذا كاف بالنسبة لنا . وعلى الرغم من أن علماء الاثار قد وجدوا بقايا معابد صغيرة تعود الى تلك الحقب ، ولكنها لا تقارن مع احجام الدفاعات العسكرية (Cunliffe , 1974 , 287-297) . وبهذا نستخلص ان الناس في ذلك الزمن احسوا مشكلة الاعداء وعدوها الاكثر جدية من غيرها .

البعد غير المنظور كمشكلة اولية

ما يبدو فرقا نسبيا بين الالهة عند المزارعين و أقوام ما قبل العصر الروماني لا يعبر عن تلك الحقبة ، التي اتسمت ببناء تراكيب كبيرة تجذب الزوار حتى في يومنا هذا (Renfrew , 1973 a , 120-146) . والى الوقت الراهن الاعتقاد بان هذه التراكيب بنيت لاغراض دينية، عدا صوت واحد يرى انها للاغراض الاجتماعية وليس الدينية (Colin Renfrew , 1973 , a , 132-142) . والاكثر اتساعا معرفة ، رغم انه احدث ، النصب الحجري الذي بني كمرصد فلكي (Hawkins & White , 1965) . وخضع ذلك للتساؤل و بقصد التمييز بين الفلكيين والمنجمين ، وهل ان هذا الفرق كان بينا عند بنات صخور Stonehenge ؟ ويعتقد Toulmin & Goodfield(1961 انه غير مبرر توقع هذا من قبل اناس لم يكتشفوا الكتابة بعد (ص 15-22)) . وفي حال عدم التمييز هذا ، فمن المحتمل ان بعض النصب قد بنيت لتكون مراصد لحركة الشمس ، القمر و غيره ، وايضا بأمل تحسين معرفة تمكن من السيطرة على قوى غير مرأية لها تاثيرها العظيم على حياة الناس تنتجها تلك المراصد.

استنتاجات

لقد عرضنا نهجا جديدا لمن يهتم بالتعديلات التي صنعها الانسان على الارض . وقد اشرنا الى ان Renfrew 1973b كان على صواب عندما قال بوجود بدائل لتصنيف حضارات ما قبل التاريخ طبقا للمواد التقنية السائدة الاستخدام آنذاك . وبالعودة الى اعمال Claude Levi-Strauss المهتم بالعلاقة بين الترتيب المكاني للمجتمع مع اشكال الملكية لمعطيات الحياة الاجتماعية (1963 ، 291) ، فانه كان حذرا في خلاصات دراساته حيث لم يجد علاقات ثابتة بين المظهر الارضي والمعتقد ، بوعي او بدونه (1963 ، 292) .

المشاكل التي حددها ستراوس (إرجاع المعتقد والموقف الى السلوك) قريبة من المشاكل التي عانى منها علماء الاجتماع لبعض الوقت ، تلك التي تؤطر العلاقة بين المعتقد والمواقف بجانب وبينها و السلوك الانساني في جانب آخر . وبصياغتها بمفردات الاثبات الذاتي الساذج ، فقد اخذت وقتا طويلا لاثبات ان ما يقوم به الناس ناتج عن معتقداتهم . وتتناغم مثل هذه الافتراضات بشكل جميل مع ما ساد العلوم جميعا ، بما فيها العلوم الاجتماعية خلال القرن الماضي. فالتاثيرات تنتج عن اسباب ، والعلم هو منهج يتقصى تحديد الاسباب وراء تنوع الملاحظات التجريبية للسلوك ، الذي يمثل التاثيرات . بعبارة اخرى ، فالسلوك = التاثير ، والمعتقد = السبب.

وقد اهتزت هذه النظرة خلال ثلاثينيات القرن الماضي عندما اكتشف علماء الاجتماع ان الناس لا تتصرف دوما طبقا لما تعتقد ، وان ما يقولوه يمثل معتقدهم (Deutscher , 1966 237) . ولم تات ابحاث العقود الثلاث بما يوضح الامر ، فما زلنا لا نعرف ما هية العلاقة بين ما يقوله الناس وما يقومون به .... ولا يبدوا ان هناك ما يضعف الفرضية القائلة بان السلوك ناتج عن معتقد ، والمعتقد لا يمكن تحديده باختبار ساذج لنصوص عن المعتقد .

نرى انه في العديد من حالات القبول بالقول بان الافعال تتحدث بصوت عال اكثر من الكلمات . ويمكن صياغة ذلك بالقول بامكانية التمييز بين المعتقدات المعلنة المعبر عنها بما يقوله الناس ، وبين المعتقدات الوظيفية المعبر عنها بما يقومون به من افعال . وبقبول هذا التمييز فان المعتقد الذي يهم علماء الاجتماع هو ما ندعوه المعتقد الوظيفي Functional ، فهو سبب السلوك. بعبارة اخرى ، المعتقد الوظيفي هو ما استقر في ذهن وفي المعالجات الدماغية التي تقود

الناس للقيام بالافعال ، وبما هو مختلف عن الكلمات التي قد تقال ، وبما يقومون به من سلوك. فالمظهر الحضاري الارضي يوفر تسجيلا لما تم فعله فعلا ، وان هذا التسجيل قابل للقياس . وعلى الرغم من تحفظات الانثروبولوجيين فاننا نعتقد أنه بقياس الطاقة المبذولة لانتاج كل عنصر او فئة من عناصر المظهر الارضي فان اولويات المنتجين بمفهوم المشاكل الثلاث المشار اليها آنفا يمكن تحديدها . وباعتماد البراهين المتوفرة عن مظهر الارض و تلك الموثقة كمصادر تاريخية او مقابلات الاجتماعيين وملاحظاتهم فانه من الممكن مقارنة الدوافع الواعية واللاواعية والخروج بنتيجة منطقية .

تعليق : لعل للطريقة التي تنتظم بها خيم البدو الرحل ، على اختلاف بيئاتهم (حارة ، باردة) مدلول على طبيعة العلاقة بين المجموعة من جهة ، وبينها ومع غيرها من جهة اخرى ، و ايضا بينها والبيئة المحيطة بها . فنظرة سريعة على مثل هذه الانماط في بيئات التبت و البراري الامريكية و صحارى افريقيا و البادية العربية تعطي انطباعا مثيرا للاهتمام والدراسة . بالنسبة الى الجزر البريطانية ، فسكانها يعترفون بان تاريخها هو تجميع لتاريخ قلاعها ، والصراع بين الامراء و الدوقات و غيرهم كان ممثلا بها للسيطرة وامتدادا للهيمنة لتشمل الجزر باكملها .

وقد كان للمعتقد دور بارز في بناء المدن عبر التاريخ ، وضمن المعتقد الهدف من بناء المستقرة ، ومن الامثلة التي يمكن الاشارة اليها بناء البصره وبغداد و الفسطاط و غيرها . فموقع المسجد له دلالته ، ومكان قصر الملك في الحضارات القديمة (البابلية على سبيل المثال لا الحصر) له معناه ، و انفصال قصر الخليفة عن المدينة في العصر العباسي المتأخر له اسبابه . وللوظيفة التي تؤديها المستقرة البشرية دور في تنظيم النمط المكاني لاستعمالات الارض فيها .

وبدراسة التركيب الداخلي للمدينة والتغيرات التي حصلت وتحصل فيه عبر تاريخها، ما قبل الصناعة ، الثورة الصناعية الاولى ، وما تبعها من ثورات و تطورات تقنية واقتصادية ، نجد ان للمعتقد دور بارز ، علنا او ضمنا في تشكيل الانماط المكانية و التغيرات التي تركت بصماتها على الارض .

المنهج البحثي المقترح يمكن تطويره واعتماده في دراسة المظهر الارضي - الحضاري للمدينة عبر فترة زمنية محددة، وما اقصده ليس التغير في استعمالات الارض فقط ، بل ما يوحي به المظهر الارضي من مستوى حضاري بالتحديد . فعلى سبيل المثال، عند دراسة بغداد خلال الفترة 1950 – 2014 ، وتاشير المستويات الحضارية وبصماتها على الشارع والمدينة و ما تحويه من مضامين ومعتقدات وسلوكيات اجتماعية نجد ان اللوحة الموزائيكية المتحركة Kaleidoscope تعرض، بطريقة واخرى ، فكر وحضارة المسئولين عن امانة بغداد وادارة الحكم فيها . فهي تعكس الفكر السياسي – الاقتصادي – الاجتماعي للدولة . وبدراسة الظواهر الاجتماعية وابعادها المكانية وتتابعها أوتباينها زمنيا تتجلى ملامح المعتقدات السائدة و فترات ازدهارها و اضمحلالها. ومن الظواهر التي يمكن دراستها : انتشار الباعة المتجولين ، وجود الباعة على الارصفة والطرقات ، طبيعة اثاث الشوارع ودرجة نظافتها ، نشوء العشوائيات ، حدوث التجاوزات على الملكية العامة، تريف المدن ، والعديد غيرها التي تنتج عن سلوك جمعي مرده معتقد اجتماعي سائد بين افراد المجموعة القائمة بالفعل (السلوك) .

وما هو صحيح في المدينة وينطبق عليها ، هو كذلك على المستقرات الريفية . فبعض العشائر ينقسم ابنائها بين مجتمع ريفي – زراعي و بين بدوي يجوب البراري . وحتى ان سكنت العشيرة بعد حين مكانا واحدا فان الفرق بين المجموعتين واضح في الكثير من المظاهر ، بدء بالعمران و انتهاء بالعلاقات والسلوكيات الاجتماعية – الحضارية. والامثلة عديدة عن ذلك . فما هو ظاهر على سطح ارض ومن نتاج الانسان فانه محكوم بفكر ومعتقد وموسوم بسلوك بشكل صريح أوغير معلن .

المراجع

Berthelot, R., 1949: La pensee de l'Asie et l'astrobiologie. Payot, Pars. 383 p.
Bibby, G., 1962: The testimony of the spade. Collins, London. 478 p.
Bidney, D., 1953: Theoretical anthropology. Columbia University Press, New York. 506 p.
Blalock, H., M., 1960: Social statistics. McGraw-Hill, New York. 465 p.

Bridgman, P. W., 1928: The logic of modern physics. Macmillan, New York. 228 p.
Burgess, C., 1974: The bronze age. Renfrew, pp. 165-232.
Carnap, R., 1966: Philosophical foundations of physics. Basic Books, New York. 300 p.
Clark, J. G., 1952: Prehistoric Europe: The economic base. Methuen, London. 349 p.
- 1975: The earlier stone age settlements of Scandinavia. Cambridge University Press, Cambridge. 282 p.
Cunliffe, B. W., 1974: Iron age communities in Britain. Routledge and Kegan Paul, London. 389 p.
Deutscher, I., 1%6: Words and deeds; social science and social policy. Social Problems, 13, pp. 235-254.
Douglas, M., et al, (eds), 1964: Man in society: Patterns of human organization. Macdonald, London, 367 p.
Eliade, M., 1949: Le mythe de l'eternel retour. Librairie Gallimard, Paris. 254 p.
- 1957: Das Heilige und das Profane. Rowohlt Taschenbuch Verlag GmbH, Hamburg. 154 p.
Firey, W., 1947: Land use in central Boston. Harvard University Press, Cambridge, Mass. 367 p.
Fishbein, M. and Ajzen, 1., 1973: Attitudes and opinions. Annual Review of Psychology, 23 pp. 487-544.
Gibson, E. M. W., 1972: The impact of social beliefs on landscape change: A geographical study of Vancouver. Unpublished Ph. D. thesis, University of British Columbia, Vancouver, B.C. 237 p.
Gottman, J., 1977: Personal communication. 24 November, 1977.
Gowans, A., 1966: Building Canada: An architectural history of Canadian life. Oxford University Press, Toronto. 412 p.
Harris, R. C., 1966: The seigneurial system in early Canada. University of Wisconsin Press, Madison, Wisc. 247 p.
Hawkes, J. and Hawkes, C., 1947: Prehistoric Britain. Chatto and Windus, London. 280 p.
Hawkins, G. S. and White, J. B., 1965: Stonehenge decoded. Souvenir Press, London. 202 p.
Hirschberger, J., 1976: A short history of Western philosophy. Lutterworth Press, Guildford and London. 218 p. (translated from the German by J. Moiser). Jencks, C. and Baird, G., (eds), 1970: Meaning in architecture. George Braziller, New York. 288 p.
Kline, M., 1953: Mathematics in Western culture. Oxford University Press, New York. 484 p.
Lethaby, W. R., 1892: Architecture, mysticism and myth. Macmillan, New York. 272 p.
Levi-Strauss, C., 1963: Structural anthropology. Basic Books, New York. 410 p. (translated from the French by C. Jacobson and B. G. Schoepf).
Lundberg, G. A., 1939: Foundations of sociology. Macmillan, New York. 556 p.
MacRae, D. G., 1964: Social change and progress in M. Douglas, 1964, pp. 284-313.
MacRae, M. and Adamson, A., 1963: The ancestral roof-Domestic architecture of upper Canada. Clarke Irwin, Toronto. 258 p.
Mannheim, K., 1936: Ideology and utopia. Harcourt, Brace and World, New York. 318 p. (translated from the German by L. Wirth and E. Shils).
Mumford, L., 1961: The city in history. Secker and Warburg, London, 657 p.
Newton, N. T., 1971: Design on the land: The development of landscape architecture. Belknap Press of Harvard University, Cambridge, Mass. 714 p.
Northop, F. S. C., 1947: The logic of the sciences and the humanities. Macmillan, New York. 402 p.
Nuttgens, P., 1972: The landscape of ideas. Faber and Faber, London. 116 p.
Perry, W. J., 1923: The children of the sun. Methuen, London. 551 p.
Piggott, S. 1954: The neolithic cultures of the British Isles. Cambridge University press, Cambridge. 420 p.
Popper, K. R., 1963: Conjectures and refutations. Routledge and Kegan Paul, London. 412 p.
Rapoport, A., 1969: House form and culture. Prentice-Hall, Englewood Cliffs, N. J. 146 p.
Renfrew, C., 1973a: Before civilization. Jonathan Cape, London. 292 p.
- 1973b: Social archeology. Inaugural lecture, University of Southampton. 20 p.
- (ed.), 1974: British prehistorv. Duckworth, London. 348 p.
Reps, J. W., 1967: Monumental Washington: The planning and development of the capital center. Princeton University Press, Princeton, N. J. 221 p.
Russell, B., 1945: A history of Western philosophy. Simon and Schuster, New York. 895 p.
Sjoberg, G., 1960: The preindustrial city. Fress Press, New York. 353 p.
Smith, E. B., 1956: Architectural symbolism of imperial Rome and the middle ages. Princeton University Press, Princeton, N. J. 219 p.
Smith, I. F., 1974: The Neolithic. Renfrew, pp. 100- 136. Toulmin, S. and Goodfield, J., 1961: The fabric of the heavens. Hutchinson, London. 272 p.
Tuan, Yi-Fu, 1974: Topophilia: A study of environmental perception, attitudes, and values. Prentice-Hall, Englewood Cliffs, N. J. 260 p.
Tunnard, C. and Reed, H. H., 1955: American skyline: The growth and form of our cities and towns. Houghton Mifflin, Boston. 302 p.
Turnbull, C. M., 1961: The forest people. Simon and Schuster, New York. 288 p.
- 1963: The lesson of the pygmies. Scientific American 208 (1), pp. 28-37.
Wheatley, P., 1971: The pivot of the four quarters. Edinburgh University Press, Edinburgh. 603 p.
Wiener, N., 1954: The human use of human beings. Doubleday Anchor Books, Garden City, N. Y. 199 p.
Zube, E. H., (ed), 1970: Landscapes: Selected writings ofJ. B. Jackson. University of Massachusetts Press. 160 p.